

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Hebron University Research Journal-B (Humanities) - ب العلوم الانسانيه by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact [rakan@aar.u.edu.jo](mailto:rakan@aar.u.edu.jo), [marah@aar.u.edu.jo](mailto:marah@aar.u.edu.jo), [dr\\_ahmad@aar.u.edu.jo](mailto:dr_ahmad@aar.u.edu.jo).



## صورة الوليد بن عبد الملك في شعر عدي بن الرقاع العاملي

\*د. محمد دوابشة

قسم اللغة العربية والإعلام / الجامعة العربية الأمريكية

### الملخص:

يهدف هذا البحث إلى إبراز صورة الوليد بن عبد الملك في شعر عدي بن الرقاع العاملي أحد الشعراء المقدمين عند بني أمية ، هذه الصورة التي ركز عليها الشاعر وتناولها من عدة زوايا ، فقد برزت صورة الوليد ابن عبد الملك - الخليفة - من خلال تركيز الشاعر على أبعاد الصورة بإطارها ومضمونها ، فقد أظهرها بشكل لافت للنظر، وشكلت قضية محورية دارت حولها العناصر الموضوعية الأخرى التي جاءت مساندة لصورة الوليد، فأبرز الشاعر ثلاث صور للخليفة وهي : الصورة الدينية التي تنطلق من الإسلام وتتخذ نموذجاً يحتذى ، بالاعتماد على فكرة الجبر، وأن الله اختاره من بني أمية لخلافة المسلمين، ثم جاءت الصورة السياسية التي صورته فيها قائداً شجاعاً يخوض الحروب ببأس وشجاعة ، كما برزت الصورة النمطية التقليدية ، كما هو الأمر في الشعر الجاهلي ، وفيها راح يمنحه كل ما يطرب له الإنسان العربي .

### Abstract :

The purpose of this research is to highlight the image of Al - Waleed bin Abdul Malik in the poetry of Adi ibn Al Riqqa, a Al Aamiliyy, one of the important poets in the Umayyad poem. This image is highlighted by the poet and approached from several sides, as it highlighted Waleed bin Abdul Malik - Caliph - through the concentration of the poet on the dimensions of the image content. He has shown it in a remarkable way, and formed a central issue revolving around the other substantive elements which came in support of Al- Walid's image . The poet featured three images of the caliph: the religious, which stem from Islam and has taken as a model, depending on the idea of compulsion, and that God chose the Umayyads to be the caliphs of the muslims, and then came the political image, which forms the brave leader fighting a war valiantly and courageously, There was also the traditional image as in the pre-Islamic poetry, so he gives him qualities of the person who pleases the Arab person.

## المقدمة:

الشاعر:

هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع بن  
عصر بن عك بن شعل بن معاوية بن الحارث، وهو  
عاملة بن عدي بن الحارث بن مرة بن أد، وأم  
معاوية بن الحارث عاملة بنت وديعة من قضاة،  
وبها سُموا عاملة، ونسبه الناس إلى الرقاع، وهو  
جد جده لشهرته<sup>(1)</sup>، جعله محمد بن سلام في الطبقة  
السابعة وأضاف كان منزله بدمشق، وهو من  
حاضرة الشعراء لا من باديتهم<sup>(2)</sup>. وأرى أن شاعرا  
مثل عدي لا يمكن أن يصنف مثل هذا التصنيف، إلا  
إذا كانت كتب النقد التي وضعت في العصر المتأخر  
حاولت التقرب من العباسيين بالتقليل من شأن  
الشعراء المواليين للأُمويين.

وشأن عدي في تحديد سنة ولادته شأن بقية الشعراء  
الذين لا تعرف أوليات حياتهم أو مواليدهم؛ لأن  
مواليدهم وقعت في زمن لم تتضح فيه هويتهم،  
ولم تُعرف منزلتهم، وبقي زمن مولده غامضا مثل  
كثير عزة والراعي النميري. ولكن إذا رصدنا من  
عاصرهم الشاعر وجدنا أقدمهم في المولد هو الأخطل  
20هـ والفرزدق 20هـ ثم جرير 30هـ، وبالتالي ربما  
لم يغادر مولده هذه الأعوام، وليس في استطاعتنا  
تحديد السنة التي ولد فيها لقلة أخباره، ولكن يمكن  
الترجيح على أنه ولد في نهاية العقد الثالث وأوائل  
العقد الرابع من القرن الأول الهجري بالاعتماد على  
بواكير شعره<sup>(3)</sup>. يلف الغموض جوانب حياته بشكل  
عام، ترجم له صاحب الأغاني ترجمة سريعة لا  
تتعدى عشر صفحات، وكل من جاء بعده أخذ منه،  
فلم تذكر الكتب سوى شذرات من حياته، فتاريخ  
مولده غير محدد، وزوجته وأولاده مغمورون، إلا  
ابنة واحدة تدعى سلمى كانت تقول الشعر، وهو  
خبر وحيد عنها، أورده الأصفهاني في قوله "  
... أتاه ناس من الشعراء ليُمَاتِنوه، وكان غائبا عن

منزله، فسمعت ابنته وهي صغيرة لم تُدرك ذروا

من وعيدهم، فخرجت إليهم وهي تقول:

تَجَمَّعْتُمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَبَلَدَةٍ

على واحد، لا زلتُم قرن واحد<sup>(4)</sup>

وكان شاعرا مُحسنا، وهو أحسن من وصف ظبية

عند ابن قتيبة، يقول:

كَالظَّبْيَةِ الْبَكْرِ الْفَرِيدَةِ تَرْتَعِي

مِنْ أَرْضِهَا قَفَرَاتِهَا وَعِهَادَهَا<sup>(5)</sup>

روى صاحب الأغاني عن يحيى بن علي عن أبيه ابن

المنجم قوله: ما أحد ذكر لي فأحببت أن أراه، فإذا

رأيتُه أمرتُ بصفه إلا عدي بن الرقاع، قلت: ولم

ذلك؟ قال: لقوله:

وَعَلِمْتُ حَتَّى مَا أَسْأَلُ عَالِمًا

عَنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لَكِي أَزْدَادَهَا

فكنت أعرض عليه أصناف العلوم، فكلما مر به

شيء لا يُحسنه أمرت بصفه... ومما ينفرد به

ويقدم فيه وصف المطية؛ فإنه كان من أوصاف

الشعراء لها<sup>(6)</sup>، كما روى الأصفهاني عن محمد

بن خلف قوله لما " عزل الوليد بن عبد الملك عبدة

بن عبد الرحمن عن الأردن وضربه وحلقه وأقامه

للناس وقال للمتوكلين به: من أتاه متوجعا وأثنى

عليه فأتوني به. فأتى عدي بن الرقاع، وكان عبدة

إليه محسنا، فوقف عليه وأنشأ يقول:

فَمَا عَزَلُوكَ مَسْبُوقًا وَلَكِنْ

إِلَى الْخَيْرَاتِ سَبَاقًا جَوَادًا

وَكُنْتُ أَخَى وَمَا وَلَدْتُكَ أُمِّي

وَصُولًا بِأَذِلَّالِي مُسْتَرَادًا

وَقَدْ هِيضَتْ لِنَكْبَتِكَ الْقُدَامَى

كَذَاكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا أَرَادَا

فوثب المتوكلون به إليه، فأدخلوه إلى الوليد

وأخبروه بما جرى، فتغيظ عليه الوليد وقال له:

أتمدح رجلاً قد فعلتُ به ما فعلتُ! فقال: يا أمير

المؤمنين، إنه كان إلى مُحسنا، ولي مؤثرا، وبى برا

عمر بن الوليد، ولكننا لا نستطيع تحديد المراحل التي مدحه بها. أما علاقته بالأمويين فقد تطورت عند وصول الخليفة الوليد بن عبد الملك إلى الخلافة إذ قربه منه وأصبح شاعر الدولة الرسمي بعد أن كان الأخطل هو الشاعر الرسمي للدولة في خلافة والده عبد الملك، وهذه العلاقة كان العامل السياسي يتدخل فيها أحياناً، وبخاصة أن الدولة الأموية لم تكن هادئة أو مستقرة؛ لأن الأمويين " كانوا يعدون في رأي كثير من الأمة الإسلامية غاصبين للخلافة " (12). فالعصر الأموي يحتاج إلى كثير من البحث والتمحيص لأن " الرواة والإخباريين والمؤرخين من أهل الهوى والعصبية عبثوا به، فطمسوا محاسنه وأظهروا مساوئَه. وعلى ما بذل في دراسته من جهد كبير، وما وضع فيه من مؤلفات ومقالات متنوعة، فإنَّ بعض جوانبه الفكرية والثقافية والعلمية والتربوية لا تزال مهمة منسية، ومبهمه مطوية، كما أن بعض جوانبه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأدبية لا تزال مضطربة ملتوية، وغامضة خفية " (13).

وربما يعود اختصاص عدي بالوليد، لأنه وجد فيه كل ما يدعو إلى الإعجاب والفخر ، فالوليد كما يقول للطبري " صاحب بناء واتخاذ للمصانع والضياع " (14). روى الأصفهاني حادثة تبين منزلة أمير المؤمنين عند الشاعر وتأثيره في نفسه ، يقول " إن الأحوص وابن سُرَيْج قَدَمَا المدينة ، فنزلا في بعض الخانات ليُصْلِحَا من شأنهما ، وقد قدم عَدِيُّ بن الرقاع وكانت هذه حاله ، فنزل عليهما ، فلما كان في بعض الليل أفاضوا في الأحاديث ؛ فقال عَدِيُّ بن الرِّقَاع لابن سُرَيْج : والله لخروجنا كان إلى أمير المؤمنين أَجَدَى علينا من المقام معك يا مولى بنى نَوْفَل . قال وكيف كذلك ؟ قال : لأنك تَوْشِكُ أَنْ تُلْهِينَا فتشغلنا عما قصدنا له . فقال له ابن سُرَيْج : أو قَلَّةُ شكر أيضا ! فغضب عَدِي وقال : إِنَّكَ لَتَمُنُّ عَلَيْنَا أَنْ

؛ ففى أي وقت كنت أكافئه بعد هذا اليوم !. فقال  
: صدقتَ وكرمتَ ! فقد عفوتُ عنك وعنه لك ! فُخذْهُ  
وانصرفُ ، فانصرف به إلى منزله (7) وهذا دليل على  
منزلة الشاعر عند بني أمية ، وموقفهم منه وبخاصة  
الوليد ، وهو شاعر أهل الشام عند ابن دريد (8) وأخبار  
الشاعر قليلة جداً في مصادر الكتب ومراجعتها ، لذلك  
اقتصر حديثهم عن عدي على إيراد بعض أخباره  
وشعره وكانت أخباره سريعة وموجزة (9). نشأت  
في دمشق عاصمة الخلافة الأموية ، فوطد نفسه على  
حب الدولة والنضال دون رايبتها والوقوف بحزم  
تجاه الحركات التي حاولت التصدي لها. وقيل إنه  
أدرك ولاية سليمان وله معه أخبار، إذ قال له يوما  
أنشدني قولك في الخمر :

كَمِيتٌ إِذَا شُجَّتْ فِي الْكَأْسِ وَرَدَةٌ

لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَبِيبٌ (10)

ورد في أمالي المرتضى أَنَّ الحادثة مرت مع الوليد بن يزيد أيضا ، وهذا غير منطقي لأن الوليد ولد سنة 88هـ . ويوم توفي عدي كان للوليد سبع سنين ، ولا تمكنه من الحكم على الشعراء وعلى أقوالهم إضافة إلى أن المصادر لم تشر إلى أن عديا عَمَر فوق المئة . كما يلف الغموض المراحل الأخيرة من حياة عدي ، فلم يحدد القدماء سنة وفاته ، ولكننا نجد ابن شاعر الكتبي يذكر أن وفاته كانت سنة 95 هـ دون أن يذكر المصدر الذي أخذ منه هذا التاريخ أو اعتمد عليه (11) .

## علاقة الشاعر بالأمويين

بعد وفاة عبد الملك خلفه ابنه الوليد ، فتسلم ملكا وطيدا كان سببا من أسباب شهرته ؛ بسبب الإنجازات التي حققها ، إضافة إلى أنه كان مفضلا عند أهل الشام لما حققه لهم ولدولة بني أمية ، وبالتالي فقد عاصر عدي زمن الانتصارات والفتوحات ، إذ عاصر عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك ، وله مدائح في



قال : أمن التي قال الله تعالى فيها : ( عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً ) ! فقال الوليد : والله ليركبك ! لشاعرنا وما دحنا والراشي لأمواتنا تقول هذه المقالة ! يا غلام على بكاف ولجام . فقام إليه عمر بن الوليد فسأله أن يعفيه فأعفاه . فقال : والله لئن هجوته لأفعلن ولأفعلن . فلم يصرح بهجائه بل عرض فيه ، ومما قاله فيه :

قَدْ جَرَّبْتُ عَرَكَتِي فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ  
غُلِبَ الْأَسْوَدُ فَمَا بَالُ الضَّغَابِيسِ (17)

### منزلته الشعرية

يضم عدي بن الرقاع إلى قائمة الشعراء الذين عرفوا بتنقيح قصائدهم واختيار ألفاظهم ، وشاعرنا من حاضرة الشعراء لا من باديتهم ، ففي شعره طراوة الحضارة، وفي ألفاظه رقة التحضر وفي ألفاظه عبق الصور الزاهية وهي تطرز ببصمات الفن الحضاري وعلاقات الناس وهي تشرق بقسماتها في أنماط السلوك الاجتماعي. شهد له جرير - أحد فحول الشعر الأموي - على شاعريته، وأنه مقدم في الشعر، قال نوح بن جرير لأبيه: يا أبت، مَنْ أَنْسَبُ الشعراء؟ قال له: أتعني ما قلت؟ قال: إني لست أريد من شعرك إنما أريد من شعر غيرك. قال: ابن الرقاع في قوله:

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْ رَأَيْتِي قَدْ عَسَا

فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ

ثم قال لي : ما كان بيالي إن لم يقل بعدها شيئاً (18) ، وكان أبو عبيدة يستحسن بيتاً لعدي بن الرقاع كما يروي الأصفهاني في قوله :

وَسَنَانُ أَقْصَدَ النَّعَاسِ فَرَنْقَتِ

فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ

ويقول : ما قال أحد في مثل هذا المعنى أحسن منه في هذا الشعر (19) .

لذلك يمكن القول إن عدي بن الرقاع من أولئك الشعراء الذين حسنت ديباجتهم ، وصفت ألفاظهم

نزلنا عليك ؛ وإني أعاهد الله ألا يظلني وإياك سقف إلا أن يكون بحضرة أمير المؤمنين " (15) .

كان عدي ذكياً نبياً لا يرتج في موقف ولا تبتعد عنه الإجابات إذا سئل أو صادفه التحدي ، يظهر ذلك من خلال رواية له مع الخليفة سليمان ، علماً أن علاقته به كانت فاترة جداً ، بل وجافة ، روى ابن سلام خبراً يفيد بأن سليمان قد قيده وأهانته ، يقول : لما أتت الخلافة سليمان بن عبد الملك ، أتته وهو بالسبع ، فكتب إلى عامله : أن أبعث إلي عدي بن الرقاع في وثاق مع ثقة ، فوجهه إليه فلما دخل عليه قال : إن كنت كارهاً لخلافتي ! قال : وكيف ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : حين تقول في مدحة الوليد :

عُذْنَا بِذِي الْعَرْشِ أَنْ نَبْقَى وَنَفْقَدَهُ

أَوْ أَنْ نَكُونَ لِرَاعٍ بَعْدَهُ تَبَعًا

فقال في نكاء وسرعة بديهة : والله ما هكذا قلت ، يا أمير المؤمنين ، ولكني قلت :

عُذْنَا بِذِي الْعَرْشِ أَنْ نَبْقَى وَنَفْقَدَهُمْ

أَوْ أَنْ نَكُونَ لِرَاعٍ بَعْدَهُمْ تَبَعًا

قال : وكذلك قلت ؟ قال : نعم . قال : فُكُوا حَدِيدَهُ ، وَرُدُّوهُ عَلَى مَرْكَبِهِ إِلَى أَهْلِهِ . وإنما كان خصّ بتلك المدحة الوليد (16) .

يعد عدي بن الرقاع من الشعراء المداحين لبني أمية والمقدمين عندهم ، إذ إن أكثر قصائده في الوليد بن عبد الملك بن مروان وعمر بن الوليد وفي الديوان قصيدتان مدح بهما الأسوار عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وواحدة في مري بن ربيعة بن مسعود بن كعب بن عاصم بن جناب الكلبي ، وأبيات في نقض كلمة عبيد بن الحصين الراعي . وكانت تجمعها مجالس الشعر مع فحول الشعر وفي وجود الخليفة ، دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وعنده عدي بن الرقاع العاملي ، فقال له الوليد : أتعرف هذا ؟ قال : لا ، فمن هو ؟ قال : هذا ابن الرقاع . قال : فشر الثياب الرقاع ، فممن هو ؟ قال : من عاملة .

، وجالس عدي كلا من الفرزدق وجريير والأخطل وكثير والراعي النميري وهاجى جريرا والراعي وحسده كثير وجريير<sup>(22)</sup>.

### فكرة الجبر في شعره

كان بنو أمية ودعاتهم وأشباعهم ينتحلون خلافة الله ورسوله وعلى المسلمين " أن يطيعوهم وأن يناصروهم ويقاتلوا من يتمرد على سلطانهم<sup>(23)</sup> " ، كما درجوا على تعيين من يخلفونهم ، يريدون بذلك إثارة أبنائهم أو المقربين إليهم ، وربما أرادوا أن يقوا الأمة مصارع الفرقة والاختلاف فيمن يتولى بعد موت الخليفة<sup>(24)</sup> ، وبما أن الشعر كان يسير جنباً إلى جنب مع السيف والقوة ، فقد تعلق بعض شعراء البيت الأموي ببعض العقائد الدينية التي راجت وانتشرت في عصر بني أمية ، ومنها المهدية والجبرية ، فالمهدية كانت من معالم الشيعة التي عزاها الشيعة لأنتمهم ، وربما يكون السبب في ذلك إلى نوع من مقابلة الدعوى بمثلها ، فإذا كان دعاة الشيعة يتوقعون حجب الإمام العادل فإن دعاة بني أمية يقرون أنه هو الخليفة القائم<sup>(25)</sup> . لقد استغل الأمويون فكرة الجبر ، وأن الله اختارهم لخلافة المسلمين وراحوا يروجون لها ويبثونها بين الناس من خلال الشعراء وغيرهم ، وكان الوليد بن يزيد بن عبد الملك أهم من بسطها منهم وفصلها<sup>(26)</sup> ، وذلك بالاعتماد على قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله وأولي الأمر منكم<sup>(27)</sup> " ، وبهذه المعاني راح لسان عدي يلهج شعراً ، يقول :

وَلَهُ مِنْ عِبَادِهِ أَصْفِيَاءُ

فَأَرَى أَنَّهُمْ لَذَلِكَ أَهْلٌ

فَهُمْ خَيْرٌ مَنْ تُظِلُّ السَّمَاءُ

حَفِظُوا مَا وَلَّاهُمْ اللَّهُ مِنْهُمْ

كُلُّ قَوْمٍ بِأَمْرِهِمْ أَوْلِيَاءُ

جَعَلَ الْأَمْرَ فِي ذَوِي الرَّأْيِ مِنْهُمْ

ورقت معانيهم ، وعبر عدي عن اهتمامه بتهذيب قوافيه ، وتنقيف شعره وتقويم عيوبها وإصلاح سنادها وميلها ، وحديثه في هذا الجانب حديث الشاعر الحاذق الذي يحسن الصنعة ، ويجيد الحرفة ويمتلك زمام التنقيف البارح حيث يقول :

وَقَصِيدَةٌ قَدْ بَتُّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا

حَتَّى أَقَوْمَ مِيلَهَا وَسِنَادَهَا

نَظَرَ الْمُثَقَّفَ فِي كُؤُوبِ قَنَاتِهِ

حَتَّى يُقِيمَ ثَقَافَهُ مُنَادَهَا<sup>(20)</sup>

فهو من مدرسة الصنعة التي تجود شعرها قبل إخراجها إلى الناس، وشعره بعيد عن الألفاظ الحوشية أو النابية . لقد استشهد القدماء في شعره ، فنلاحظ أن ياقوت الحموي قد استشهد له في أكثر من مائة وعشرة أبيات وهو عدد غير قليل بالنسبة لما يستشهد به ياقوت لشعراء آخرين ، وأرى أن هذه الكثرة عند ياقوت تؤكد كثرة الموضوعات التي وقف عندها الشاعر وتحدث عنها واستثارت في نفسه الخواطر والهواجس ، كما تؤكد شدة ارتباطه بأرضه وعمق انتمائه لها . أما أصحاب المعاجم فقد كانت شواهد عدى من النماذج المعتمدة عندهم ، فقد استشهد له صاحب اللسان في أكثر من مائة موضع واعتمد بعضها صاحب التاج ، ولكن الجديد أن صاحب التاج قد استشهد له بأكثر من ثلاثين مرة في مواضع لم يذكرها صاحب اللسان ، وهي ظاهرة تؤكد اعتماد اللغويين على شعره ووقوفهم على ديوانه<sup>(21)</sup> ، إن ابن الرقاع يمثل امتداداً في بناء القصيدة ، واستمرارية تقليدية في معالجة أغراضها ، وهذا يفرض عليه أن يسير في الدروب المعروفة، ويدخل في المسالك التي تحقق له التكامل الفني، وتهئ له لوازم الاقتداء ، ويتضح هذا المنهج في معظم قصائده . أجاد في وصف الظباء والرواحل حتى عد من أفضل من وصفها ، ومع ذلك فقد أحسن في فنون الشعر الأخرى مثل : المدح والنسيب الرقيق

عَلَى رَغْمِ أَعْدَاءٍ وَصُدَّاءِ كَذِبٍ<sup>(36)</sup>

ويقول لبشر بن مروان إن الله خول الأمويين  
الخلافة، لأنهم أولى بها، وأصلح لها :

أَعْطَاكُمْ اللَّهُ مَا أَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ

إِذَا الْمُلُوكُ عَلَى أُمْتَالِهِ اقْتَرَعُوا<sup>(37)</sup>

ويردد جرير المعنى ذاته لعبد الملك مؤكداً أن الله حباه  
الخلافة؛ لأنه أحق بها، وأقوى عليها :

اللَّهُ طَوَّقَكَ الْخِلَافَةَ وَالْهُدَى

وَاللَّهُ لَيْسَ لِمَا قَضَى تَبْدِيلُ

وَلِيَ الْخِلَافَةَ وَالْكَرَامَةَ أَهْلُهَا

فَالْمُلْكُ أَفْيَحُ وَالْعَطَاءُ جَزِيلُ<sup>(38)</sup>

إن مثل هذه الأبيات وغيرها وثائق حية صادقة، لها  
قيمة فائقة؛ لأنها تصور نظرية الأمويين في الخلافة  
، ومبلغ إلحاحهم عليها ومقدار اعتقاد أنصارهم  
بها، مما يوافق الأخبار التي رويت في ذلك ويؤيدها  
تأييداً شديداً.<sup>(39)</sup>

### الصورة الإسلامية

كانت السيادة الدينية لبني هاشم في الجاهلية وفي  
الإسلام، وكان بينهم وبين الأمويين تنافس شديد  
في سيادة قریش منذ الجاهلية واستمر في الإسلام  
، فالأمويون أهل سياسة وتدبير والهاشميون أهل  
الخير والقوة. ومع قلة الهاشميين وغناهم وكثرة  
أبناء الأمويين وفقريهم، يقول معاوية بن أبي  
سفيان موضحاً العلاقة بين البيتین "إذا لم يكن  
الأموي مصلحاً لماله لم يشبه من هو منه، وإذا لم  
يكن الهاشمي سخيّاً جوداً لم يشبه من هو منه ولا  
يعدمك من الهاشمي اللسان والسخاء والشجاعة  
" <sup>(40)</sup>، وعندما تولى عثمان الخلافة رأى الأمويون  
أن الأمر قد عاد إليهم، ويجب أن يحافظوا عليه،  
روى المسعودي "أن أبا سفيان، صخر بن حرب،  
دخل دار عثمان عقب بيعته ومعه بنو أمية، فقال  
أبو سفيان - وكان عمي - : أفيكم أحد من غيركم،  
قالوا : لا، قال "يا بني أمية، تلقفوها تلقف الكرة

أَنْ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ الْأَتْقِيَاءُ<sup>(28)</sup>

لذلك استقرت هذه الفكرة عند عدي بن الرقاع،  
فمنحها للوليد في قوله :

وَقَضَى لَكَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ

وَقَضَاءُ رَبِّكَ نَافِذٌ مَفْعُولُ<sup>(29)</sup>

وهذا ما أقر به الفرزدق أيضاً لسليمان بن عبد الملك  
مؤكداً أن الخلافة صافية للأمويين، مستقرة فيهم  
إلى يوم الدين :

جَعَلَ إِلَهُ لَنَا خِلَافَتَهُ

بِرِّ الْقُرُوحِ وَعِصْمَةِ الْجَبْرِ<sup>(30)</sup>

وقد ثبتت فكرة الجبر في عقول الشعراء بالاعتماد  
على ما أشاعه بنو أمية من فكرة التفويض الإلهي من  
خلال الترغيب والترهيب منذ بداية حكمهم، يقول  
معاوية لأهل المدينة " ... لا بمحبة وليتها ولكنني  
جالدكم بسيفي هذا مجالدة <sup>(31)</sup>، ويقول أخوه عتبة  
" ... لا تمدوا الأعناق إلى غيرنا فإنها تنقطع دوننا  
... " <sup>(32)</sup>. ويقول الفرزدق إن الله جعل الخلافة

ليزيد بن عبد الملك، لعظمته وتدينه :

أَعْطَى ابْنَ عَاتِكَةَ الَّذِي مَا فَوْقَهُ

غَيْرُ النَّبُوءَةِ وَالْجَلَالِ الْأَجَلِ

سُلْطَانَهُ وَعَصَا النَّبِيِّ وَخَاتَمَهُ

أَلْقَى لَهُ بِجَرَانِهِ وَالْكَلْكَلِ<sup>(33)</sup>

وكرر المعنى النابغة الشيباني في قوله :

أَعْطَاكَ مُلْكاً وَتَقَوَّى أَنْتَ سَائِسُهُ

بَعْدَ الْفَضَائِلِ مَنْ أَوْحَى إِلَى النَّوْبِ<sup>(34)</sup>

ويقول :

ذُو الْعَرْشِ قَدَّرَ أَنْ تَكُونَ خَلِيفَةً

مُلْكَتَ فَاعِلٌ عَلَى الْمَنَابِرِ وَاسْلَمَ<sup>(35)</sup>

ويقول الأخطل لعبد الملك بن مروان إن الله ساق إليه  
الخلافة، لأنه أجدر بها، وأقدر عليها :

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ فِيكُمْ

بِأَبْيَضَ لَا عَارِي الْخَوَانَ وَلَا جَدِبَ

وَلَكِنْ رَأَاهُ اللَّهُ مَوْضِعَ حَقِّهَا



فإذا كان الشاعر أموي الهوى فهو جاهلي الأسلوب ، حديث الصورة والمعنى ، وهو يعبر بواقعية عمادها البيئة وما أحاط بها من عادات وتقاليد ، والتكلف في هذا الشعر واضح والشاعر ركب فيه مركبا صعباً فقد جرت المبالغة إلى اختيار مثل هذه الألفاظ ، ومعنى ذلك أن نظرية الأمويين في الخلافة كانت مزيجاً من الأفكار الإسلامية والأعراف العربية ، إنها أزمة شاعر أراد أن يحقق الذات الفكرية لصالح الخليفة ، وهو يعبر عن معاناة روحية يطلبها الخليفة ، ويصوغ سياسة جاهزة ويجتهد في تقريبها إلى الناس . فالصورة الإسلامية شكلت مقوماً قوياً من مقومات الصورة في شعر عدي وكونت تياراً جديداً ظهر في إبداع الشاعر ، يضاف إلى التيار القديم الذي رقد شعره في معظم صوره وأخيلته وتناولها في موضوعاته الشعرية المختلفة . لم يتوان أمراء الأمويين في السعي لكسب قلوب الناس وعقولهم ، إذ توجهت جهودهم للتأثير عليهم مستغلين في ذلك سلاح الدين ، فأطنبوا في الحديث عن الخلافة وما يتصل بها من العناصر الدينية ، فكانت الألفاظ والمعاني الدينية تسير جنباً إلى جنب مع الألفاظ والمعاني السياسية ؛ فالإسلام دين ودولة ، لذلك أكثر من الأسماء والألفاظ مثل : أمير المؤمنين - خليفة الله - الخليفة - الجمعة - الصلوات - المسلمين ، " ويرجع ذلك إلى طبيعة الثقافة في عصرهم ، فإنها كانت تتألف في معظمها من عناصر إسلامية جديدة وعناصر عربية موروثة " (51) ، وقد تأثر الشاعر

فخلافه الوليد قدر من الله ، وهذه الإرادة هي التي اختارت للمسلمين الوليد ، وكذلك أوامره السياسية ، وكل ما يصدر عنه ، فهو خليفة الله ورسوله في الأرض ، وليس على الرعاية إلا تنفيذ مشيئة الله ، وهنا تتناظر الصورة الخارجية بمؤثرات الصورة الداخلية فيما بينها ، وتتوحد لتعطي قوة محرّكة في نفس الشاعر وتتوالى هذه القوة المحركة بالتدرّج لتصل إلى الذروة في إثارة الانفعال في القوة الباطنية عند الشاعر والاستجابة له عند السامع - الوليد - ، وهذا ما يجعل الصورة تتحول إلى معانقة نفسية ، يفجر فيها الشاعر الطاقة الشعورية تحت ركام الذهن وسطحية المنطق ، ويكون تداخل الانفعال مع حركة الذهول الفني مستعينا بما يمنح الصورة ما يجعلها تتعدى إطارا لمحدودات التي يكون فيها ، الحامع في الكل ، سيد الموقف ويدفعها إلى تخبطي



وَهُمْ أَرْضُ لَأَرْجُلِكُمْ وَأَنْتُمْ

لَأَرْوُسِهِمْ وَأَعْيُنُهُمْ سَمَاءٌ<sup>(59)</sup>

ولكنه طرب لقول الأخطل في قصيدته " خف القطين  
" ؛ لأن الأخطل صاغ سياسة الخليفة بشكل يؤمن  
لها الانتشار بين الناس والتأثير فيهم .

إن الصورة الإسلامية التي قدمها عدي للوليد ،  
صورة غلب عليها الطابع الأخلاقي مقابل صورة  
أخرى غلب عليها الطابع الديني وثالثة تجمع بين  
المعاني الدينية والأخلاقية ، وقد تلوح خلال ذلك  
بعض الدعاوى التي تحاول لاحتجاج دينياً للخلافة  
وأحقية فيها .

### الصورة السياسية

قام الحزب الأموي على أساس أن الأمويين هم أصلح  
الناس للحكم والخلافة وأنهم أصحاب مجد تليد  
يمثل مجد الهاشميين ، إضافة إلى قضية التحكيم  
التي جاءت لصالحهم ، فراحوا يزعمون أنهم وارثو  
النبي عليه الصلاة والسلام<sup>(60)</sup> ، فصاروا بذلك أحق  
الناس بهذا الملك الإسلامي ، والتاريخ الموضوعي  
يذكر أن الوليد ساس الرعية بالقوة والبطش ، فقد  
تحامل على الرعية وبخاصة خصومه ، إذ سفك  
دماءهم وضيق على الزبيريين والعلويين وأساء  
إليهم ونكل بهم ، ولذلك كان زمانه أشد من زمان  
أبيه بطشاً ، فقد شاع فيه التسلط والإرهاب والقتل  
، وأخذت الوليد العزة بقوة سلطانه ، وأسبغ على  
نفسه هاله من الجلالة والقداسة وأحس أنه أرفع  
من الناس فاستعلى عليهم وأمرهم أن لا يعاملوه على  
أنه واحد منهم وأفرط في قهرهم وقمعهم<sup>(61)</sup> .

وبما أن الشعر سار مع السياسة وراح يعبر عن  
وجهة نظرها في العديد من القضايا السياسية ،  
ولحاجة السياسة إلى الشعر فقد استقطب الأمويون  
عددا من الشعراء الذين راحوا يدافعون عن الدولة  
الأموية وسياستها ، إما قناعة وإما خوفاً وإما طمعا

بأنه أفضل من الرسول محمد عليه الصلاة والسلام  
، يقول : " ... إن خليفة الرجل في أهله أكرم عليه من  
رسوله إليهم وكذلك الخلفاء يا أمير المؤمنين أعلى  
منزلة من المرسلين ... " <sup>(56)</sup> ، ويقول عدي:  
إِنَّ الْخِلَافَةَ لَمْ يَكُنْ لِيَطِيقَهَا

إِلَّا أَمْرًا لِلْمُعْضَلَاتِ حَمُولُ<sup>(57)</sup>

لقد التفت الشاعر إلى الوضع الاجتماعي ، وولد هذا  
الالتفات فكرة جديدة عنده ، هي فكرة الراعي العادل  
الذي اختاره الله رحمة للعباد ، فمثل هذه الصورة  
الحسية هو الغالب على قصائد عدي في الوليد ، وهذا  
ساعده في بلوغ مكانة عالية من التشخيص والتجسيم  
؛ لأن الصورة المجردة التي تقابل المعنى الذهني أبلغ  
من التشخيص فهو يعمق مدارك الصورة عن طريق  
نقلها إلى نفسية السامع فيدركها بفعالية عميقة ، فقد  
ركز الشاعر على الصورة الدينية التي خرج منها  
الوليد ، فالأمويون هم صفوة دينية مختارة ، ومن  
هذه الدوحة المؤمنة جاء الوليد ، يقول :

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَصْطَفَاهُمْ

وَلَهُ مِنْ عِبَادِهِ أَصْفِيَاءُ

فَأَرَى أَنَّهُمْ لَذَلِكَ أَهْلُ

فَهُمْ خَيْرٌ مَنْ تَظَلُّ السَّمَاءُ<sup>(58)</sup>

إن ما جاء في هذين البيتين وغيرهما من الأبيات  
المتعلقة بهذه الصورة أراها مقتبسة من صورة الإمام  
عند الشيعة ، وهذا تعصب لبني أمية وتشيع لهم ،  
كما تشيع الشيعة لأئمتهم ؛ لأن الوليد والأمويين  
كانوا يشعرون بالنقص الروحي عند شعرائهم ،  
فعبد الملك لام الشعراء على تصوير الأمويين بهذه  
الصور ، يقول : تشبهوننا مرة بالأسد والأسد أبخر  
أو بالجبل والجبل أوعر ومرة بالبحر الأجاج ، ألا  
قلتم فينا كما قال أيمن بن خريم في بني هاشم :

نَهَارُكُمْ مَكَابِدَةٌ وَصَوْمٌ وَلَيْلُكُمْ صَلَاةٌ وَأَقْتِرَاءُ  
وَلَيْتُمْ بِالْقُرْآنِ وَبِالتَّزْكِي فَاسْرَعَ فَيْكُمْ ذَاكَ الْبَلَاءُ  
أَأَجْعَلُكُمْ وَأَقْوَامًا سَوَاءً وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْهَوَاءُ







الأبيات ، فقد تحدث فيها عن التفويض الإلهي للوليد وعن مقدرته الحربية ثم عن شمائله العربية ؛ فالقصيدة ترمي إلى هدف محدد يحاول الشاعر أن يصل بها إلى ما يريده معتمداً كافة السبل التي توصله إلى هدفه ، فقد مال شعر عدي إلى التقرير المباشر بمآثر أمية ومظاهر حكمهم ، وهي ذرائع لا يعول عليها إلا من فقد الذرائع ، وأغلقت دونه أبواب الحجة والبرهان ، يقول :

عند الشديدة حي يستقيدهم لهم

من يشرب الماء من راض وغضبنا (67)

يبقى الهدف عند عدي هو إظهار الوليد في صورة مثالية لا تماثلها صورة أي كائن بشري آخر ، وإن لجأ إلى المبالغة في رسم الصورة في بعض الأحيان ، ربما للفت انتباه السامع من خلال انسجام الصورة مع مدلولاتها ، فهو إنسان لكنه من الصفوة التي يقل نظيرها . وأحياناً نرى صورة الوليد صورة سياسية خالصة ، فهو القادر على سياسة الناس وتدبير شؤونهم وحده ، ولكنه لا يلبث أن يعرج فيها على صورة الشخص الكريم المعطاء ؛ ليربطها مع كرم الأمويين وسخائهم ، يقول :

نحن الرعية والرحمن يحفظنا

وأنت في الأرض بعد الله ترعانا

قضى عليهم له في الحق قد علموا

جهد النصيحة إسراراً وإعلاناً

يرون طاعته لله ربهم

رضى وعصيانه لله عصياناً (68)

إن شعر عدي أكثر جنوحاً إلى المبالغة في صورة الخليفة السياسية ، فهو عندما يحتج لا يحتج بما هو مقنع بالقياس المنطقي أو النص الدافع من القرآن والسنة ؛ لأنه ليس للأمويين من هذه أو تلك ما ينصر مذهبهم ، لذلك لجأ الشاعر إلى تقرير الحال والاعتماد على سياسة الأمر الواقع أو الزعم بأن بني أمية هم الذين جمعوا أو اصر الأمة ، واستقرت بهم الأمور

، ويرى رأيهم ، ويقول بقولهم ، يدافع عن مبادئ الدولة ويؤيد سياستها ، ويتحمس لها ، وظف شعره لنصرتها ، وشهر سيفه بوجه خصومها ، سالم من سالمها وعادى من عاداها وهو في رأيه هذا لا يصدر عن رهبة ، ولا ينافق عن خوف وإنما يعبر عن الحقيقة كما يراها ، والعقيدة كما يؤمن بها ، والوفاء كما فرضته عليه أخلاقه . لقد أعطى الشعر المتصل بالسياسة صورة واضحة عن سياسة الخلفاء الأمويين وشخصياتهم السياسية في تعاملهم مع الرعية ، سواء ما قاله الشعراء في الخلفاء أو ما قاله الخلفاء أنفسهم أو تمثلوا به " ففي الشعر حلم معاوية وعنف يزيد ابنه وحزم عبد الملك وتخرج عمر بن عبد العزيز وقسوة هشام وعبث يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد واضطراب مروان بن محمد وسقوطه آخر الأمر ، وهذا شيء طبيعي فقد كان الشعراء يصورون سلوك الخلفاء أو يقولون الشعر مسaire لهم وأحياناً يقولونه نقداً ومعارضة (65) .

تظهر صورة الوليد السياسية وحدها فهو الشخص السياسي المتفرد ، فهو المحارب الشجاع ، الذي يخوض الحروب ، وهذا يظهر كذلك عند صورة الوليد الإسلامية ولكن كرم الوليد يظهر مع أجداده الأمويين ، فهو يعرض كرمه من خلال الأمويين ، يقول :

وله يدان يد يخاف عقابها

ويد تحلب بالندى وتنيل

وترى بغاة الخير ينتجعونه

من كل ناحية إليه سبيل

أعطى أباك الله أمر جنوده

وعطاء رب العالمين جزيل

فرعى بإحسان وكل خليفة

عما رعى متحبر مسؤول (66)

وليس من السهل الفصل بين القضايا التي تناولها الشاعر في القصيدة الواحدة ، كما نرى في هذه



### الصورة النمطية التقليدية

يلاحظ الدارسون في الشعر الأموي، وبخاصة الشعر في الخلفاء، أنه شعر عام، ينقصه الدليل والبرهان، فكثير منه يأتي بصفات عامة كالكرم والشجاعة والحلم وحسن السياسة والمجد التليد، وشعر عدي بن الرقاع لم يبتعد عن هذه القاعدة، فالوليد بن عبد الملك قريب في هذه الصورة، يقول في كرمه وسخائه:

جوادٌ ليسَ قَلاً حِينَ يُؤْتَى لَطالِبِ حاجَةٍ أبداً ألا  
تفيضُ يمينُهُ بالخيرِ فيضاً ولا يلقى بنائِلَهُ الشمالَا  
وماذا الموجُ يطرحُ ساحِلَاهُ

بغَوَاصِيهِ طَرَحاً حِينَ سالا  
بأجودَ من أبي حَفَصٍ إذا ما  
أَتَتْهُ العيسُ تَخْتَرِقُ النُّقالَا  
هو القَرَمُ الفَحيلُ إذا قُرِيشُ

ليومِ حَفِيظَةٍ عَدُوا الفِحالَا  
أَتَيْتَكَ ثُمَّ عُدْتُ فَعُدْ بخيرِ

وخيرُ الخَيْرِ ما يُجْرَى علا (77)  
جاءت صورة الوليد في هذه الأبيات هادئةً وينعكس هذا الهدوء من خلال الألفاظ المستخدمة فيها، إلا ما جاء عفو الخاطر ليسهم في تقوية صورة الكرم مثل "يفيض و فيضا"، يقول:

الجامعُ الحِلْمُ الأصيلُ وسُودداً  
غَمراً يُعَاشُ به وَحِكْمَةً حازِم (78)

ويقول:

وَإِذَا نَشَرْتَ لَهُ الثَنَاءَ وَجَدْتَهُ

جَمَعَ المكارمَ طُرْفَهَا وتَلادَهَا (79)  
والمكان الذي نشأ فيه الشاعر منحه خيالا خصبا، جمع في جزالة القديم مع جمال الحديث "وهو بذلك يكون قد أسهم في تطوير الصورة الشعرية، فنقلها من إطارها الصحراوي ونفحها بتشبيهات حضارية جديدة مستمدة من طبيعة بلاد الشام (80)

وتصوير عظمة ملكه وقوة سلطانه وكثر فتوحاته وانتصاراته واتساع دولته" (74)، يقول:

فلا تَرَى نائِلاً يَجْرِي كَنائِلَهُ  
ولا كَبُنيانِهِ في الأَرْضِ بُنيانا  
كَنيَسَةٍ حَدَرَتْ عادٌ حِجارتَها

من الجبال التي شَرَقِيَّ لُبْنانا (75)  
لا يملك القارئ لهذا الشعر إلا التعجب من جهد عدي فيما بذل من أعمال فكر للوصول إلى هذا السبيل، فهل هو موجه لاقتناع الخليفة أم الاقتناع السامع، فالواقع أن الشاعر كان على وعي تام بالدعوة السياسية التي كان يرى نفسه ملزماً بنشرها "فإذا أغفلنا خصوصية التعبير الشعري المرتبطة بأشخاص الشعراء تبينا نسقاً منظماً من الأفكار والمفاهيم تعكس في وضوح إطار السياسة الأموية العام، فتبرز أهمية الخليفة من الناحيتين الروحية والمادية كفكرة أساسية لذا "جاءت صورة الوليد بن عبد الملك مبالغاً فيها عند الشاعر، إذ حاول أن يخلع عليه هالة من القداسة، إذا اصطفاه الله للأمة واختاره لسياستها وصلاح شؤونها (76)، وبالتالي فقد تجردت كل القضايا السياسية واستحالت قضايا دينية فالمعارضة لحكم بني أمية هو معارضة للعقيدة. وبما أن الفتوحات قد كثرت في زمن الوليد منحها الشاعر كثيراً من الصفات التي تناسب هذا الفهم الديني في تصوير أمور السياسة وكأن الشاعر يريد القول: إن سياسة الوليد هي التي أحيت الحق وأقامته كما كان الأمر في سياسة الخلفاء الراشدين الأوائل، فهو يرتسم خطاهم ويجتهد في السير على دربهم سياسياً ودينياً. هكذا جاءت مساهمة صورة الوليد في شعر عدي بن الرقاع العاملي في الدفاع عن سياسة الوليد بن عبد الملك إذ أسهم فيها إسهاماً واضحاً بحيث تعددت موضوعاتها السياسية وتنوعت أساليبها الفنية.

١٠. إن المتتبع للشعر الأموي وقضاياه وموضوعاته ، يلاحظ القلة القليلة من الشعر الذي جاء مخلصاً لبني أمية ، فالشعراء الذين أخلصوا لبني أمية هم قلائل يأتي في مقدمتهم : أبو العباس الأعمى وأبو صخر الهذلي أما بقيتهم فهم طلاب مال وجاه وعدي نفسه لم تسلم نفسه من الأعطيات ، يقول :

فَصَدَّقْ مَدَحَتِي وَأَجْزْ كَرِيماً

إِذَا مَا عَفَّ عَنْ بَلَدٍ أَطْلَا<sup>(81)</sup>

ويقول :

فاذكر أمير المؤمنين بمدحة

إِنَّ الْوَلِيدَ لَهُ عَلَى فُضُولٍ<sup>(82)</sup>

اتسم شعره بالافتتان في العبارة والخيال فيها ،  
والمبالغة في الصورة ؛ لأنه كان حريصا على إرضاء  
الخليفة وهذا أدى به إلى الزيادة والتهيل والتجويد  
، وهو لم يقصر شعره على السياسة وحدها ، فقد  
تناول فنونا شتى ، بينما نجد كثيراً من شعراء  
الخوارج وقفوا شعرهم على نصرته مذهبهم وما  
يتصل به ولم يتعدوه إلى غيره في فنون الشعر ، يقول

إِذَا هَبَطْتُ بِلَادًا لَا أُرَاكَ بِهَا

تَجَهَّمَتْنِي وَحَالَتْ دُونَهَا ظِلْمٌ

أَغْرَأَوْعُ بِهَلُولِ أَخُوثَقَةِ

حُلَّاحٌ مِّنْ ثَرَاهِ اللَّيْنِ وَالْكَرْمِ

في شدة العقد والحلم الرزين وفي

القول الثَّبِيتُ إذا ما اسْتَنْعَتِ الْكَلِمُ

لا يتعبُ الحكم حتى تستبين له

مَوَاقِعُ الْحَقِّ إِنَّ الْقَاضِيَ الْفَهْمُ (83)

كان الشاعر كما تؤكد أبياته ومفرداته حضريا ، يتسلل ظل النعيم إلى أبياته ، وينساب رونق الحضارة في شعره ، وتتناثر مفردات الحياة الاجتماعية في صوره وهو يستعيد التشبيهات التي أملت على طبعه طبيعة الحياة ، ولونتها رفاة الواقع الجديد الذي عاشه الإنسان العربي في ظل التقاليد

### الحضرية ، يقول :

لَقَدْ مَدَحْتُ رَجَالًا صَالِحِينَ فَأَمَّا

أَنْ يَنَالُوا كَمَا نَالَ الْوَلِيدُ فَلَا

هو الفتى كله مجداً ومكرمةً

وَكُلُّ أَخْلَاقِهِ الْخَيْرَاتِ قَدْ كَمَلَا

فَتَى الرَّبِّيَّةِ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِهِ

كَالْبَدْرِ وَافِقَ نَصْفَ الشَّهْرِ فَاعْتَدَلَا

يَدْعُو إِلَيْهِ بُغَاةُ الْخَيْرِ نَائِلُهُ

إذا تجهز منه نائل قفلا

غَيْثٌ خَصِيبٌ وَعَزٌّ يَسْتَغَاثُ بِهِ

إذا أتاه طريدٌ خائفٌ وألّا (84)

ولا بد أن يكون هذا الاتجاه قد حمله مهمة الإحسان في مخاطبة الخليفة ، وإجادته في اختيار الألفاظ المقبولة والمناسبة ، وانتقائه جمالية الصور المناسبة ، والتعبير عن الوجهة السياسية التي كانت تأخذ طريقها في بناء الدولة العربية ، والالتزام بالمبادئ الإنسانية التي أصبحت واجهة من واجهات الدولة في التعريب والتحرير والتعامل وما يمكن أن يقدمه الخليفة أو يضطلع به من جلائل الأعمال وعظائم المسؤوليات ، يقول :

مَدَحْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي اصْطَفَى

لَنَا رَبُّنَا فَضْلاً عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ

بَنَى الْحَمْدُ فِيهِ فَارْتَقَى فِي مَشْرِفٍ

رَفِيعٌ مِنَ الْبُنْيَانِ لَمْ يَتَّكِلْ<sup>(85)</sup>

كان الشاعر يرد من خلال هذه الصورة المحافظة على أصالة الصورة الشعرية وأصالة الشعر العربي في إطار الحضارة العربية الجديدة ، وهذا " أوحى إلى عدي كثيرا من ذلك الانسجام واللباقة والتتقيف في شعره حتى صار يعتد ذلك فنا خاصا بالشاميين لا بجيده غيره " (86) ، يقول :

نَمَا إِلَى شَرَفٍ مَا فَوْقَهُ شَرَفٌ

فَكَلَّ رَايِيَّةً مِنْهُ قَدْ اَطْلَعَا (87)

فشخصية الوليد من هذا الجانب قريبة من صورة

في الصياغة الشعرية الذي يقود السامع إلى فهم الخصائص العامة لهذه السمة؛ لأن هذا التكرار له قيمته التنغيمية التي تزيد من ربط الأداء بالمضمون الشعري، فهو يثير إحياءات في خيال السامع ويعزز الدلالة في النص ويرفده بطاقات تعبيرية مؤثرة.

فإذا كان الشعر بطبيعته فيه إيقاع خارجي يتمثل في الوزن والقافية، لأنه لا يحتمل مزيداً من الكثافة، لذا لجأ الشاعر إلى التوجه إلى داخل القصيدة، لإفراز إيقاعات داخلية لا تقل أهمية عن الإيقاع الذي ولده الوزن والقافية من خلال التماثل الإيقاعي لبنية التكرار في أنواعها المختلفة كالجناس والمجاورة والترديد، كما في قوله:

لا مُقَدَّم كَانَ إِلَّا دُونَ مُقَدَّمِهِ

وَلَا الْمَنَافِعُ إِلَّا دُونَ مَا نَفَعَا<sup>(91)</sup>

وقوله:

وَإِذَا قَضَى فَصْلُ الْقَضَاءِ تَمَلُّ

قُرْبِي عَلَيْهِ وَلَا مَلَامَةً لَائِمَ

تُرْبِي عَلَى الْفَيْضِ الْكَثِيرِ فَوَاضِلًا

نَفَحَاتُ أَيَّامٍ لَهُ وَمَقَاوِمَ<sup>(92)</sup>

وقوله:

أَعْطَى أَبَاكَ اللَّهُ أَمْرَ جُنُودِهِ

وَعَطَاءُ رَبِّ الْعَالَمِينَ جَزِيلٌ<sup>(93)</sup>

إن ما تحمله بنية التكرار عند الشاعر من إيقاع تماثلي " يتحول إلى علاقات تناقضية أو تناظرية أو تعميق في معنى السياق، وكل هذا يعود إلى عملية التعليق بالمفردات الواردة في الصياغة الشعرية " <sup>(94)</sup>، إن جزالة الألفاظ المستخدمة وحسن جرسها رافقه تراكيب مختارة لها لينفذ من خلالها إلى صورة حسية و نابضة بالحياة والحركة المستمرة، وتركيزه على المصادر في بنية التكرار تؤكد ذلك " نفعا - لائم - عطاء - قضاء "، يقول:

وَإِذَا تَفَاخَرَتِ الْمَكَارِمُ أَهْلُهَا

وَلِكُلِّ ذِي نَسَبٍ أَخٌ وَخَلِيلٌ

بقية الخلفاء الأمويين، وإذا نظرنا إلى سائر قصائده في الخلفاء، نجد شخصية كل منهما مطابقة لشخصية الآخر، حتى لكانهما صورة واحدة منقولة عن أصل ثابت، ومثال مرسوم، فكل منهما عربي نقي، وسيد سري، وفطن المعني، ومقدام أبي، وجواد سخي، وأمين وفي، وعفيف حيي، فالشاعر " كان يطلب في شعره أن يأتي بالصور الطريفة والأخيلة المبتكرة والأحاسيس الدقيقة " <sup>(88)</sup>، يقول:

فَوْقَ الَّذِي أَتْنِي بِهِ وَأَقُولُ  
وَتَرَى بُغَاةَ الْخَيْرِ يَنْتَجِعُونَهُ

مَنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ إِلَيْهِ سَبِيلُ  
فَرَعَى بِإِحْسَانٍ وَكُلُّ خَلِيفَةٍ

عَمَّا رَعَى مُتَحَبِّرٌ مَسْئُولُ<sup>(89)</sup>

لقد قارن الشاعر هنا بين موقفين موقف سياسي وآخر عربي قديم، أما الأول فهو شدة قوته وشجاعته في الحروب، والآخر موقف الكرم والسخاء، فهي معان تقليدية جوفاء لا تضيف جديدا لصورة الخليفة، يقول:

فَلَا جَوَادٌ مِنَ الْأَقْوَامِ يَعْدِلُهُ

فِي الْوَضْعِ وَهُوَ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يَسْعَا

وَلَا أَرْبَ لِنَعْمَى حِينَ يَنْعَمُنَا

حَتَّى يَتِمَّ أَوْ يُعْطَى بِهَا الْفَنَعَا

وَلَا أَحَقَّ بَعْدُ فِي رَعِيَّتِهِ

فَمَا تَمَائِلَ فِي حُكْمٍ وَلَا ضَلَعَا

لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ أَنْ يُجَارِيَهُ

فَمَنْ تَكَلَّفَ أَمْرًا بَعْدَهُ نَزَعَا

أَتْنِي عَلَيْهِ فَلَا أَحْصِي فَوَاضِلَهُ

وَتَنْهِي مِدْحَتِي بَعْدَ الَّذِي صَنَعَا<sup>(90)</sup>

نلاحظ تكرار حرف النفي لا الذي لم يكن سمة سطحية متمثلة في الإيقاع الخارجي الذي يولده تماثل الصوت، وإنما كان الإيقاع الخارجي عنده يعمل على الوصول إلى الإيقاع الداخلي العميق

- إلى حاضريهم ، ونجد مثل هذه المقاربة الزمانية بين الأفعال التي استخدمها بمقابلاتها ، الماضي فالحاضر ، كما في قوله لجأت - ما تنتهي " و " وإذا نظرت - يظل " و " ذا قضى - تمل " .

### الخاتمة

جاءت الصورة على نوعين ، صورة حملت معان عامة تركّز على علاقة المنبت والتأكيد على كرم الأمويين وحلمهم ، إضافة إلى تصوير بلائهم في الحرب ، ومعان خاصة مثل الإقرار للوليد وللأمويين بالخلافة ، والإشادة بانتصارهم وأن هذا النصر هو تأييد من الله ثم التغني بصفات الخليفة المختار . استقى الشاعر مقومات الصورة من " دعوة الأمويين للخلافة " فهو الأساس الذي من خلاله أقام الأمويون دعوتهم ، بأن الخليفة الأموي عثمان قتل مظلوماً ، فأهل بيته أولى بدمه ، وهم أصلح للحكم ، وهم أصحاب مجد قديم يطاول مجد بني هاشم ، ونتيجة معركة صفين جاءت في صالحهم ، وبما أن الله أظفرهم بالنصر فهم أولى بالخلافة . وفي تصوير الشاعر للخليفة عناية كبيرة بمرکز الخليفة وأهميته القصوى لسلامة الأمة وأمنها ، إذ عليه يرتكز ميزان العدالة والأمان ، ويفيض جانب كبير من شعر عدي بن الرقاع العاملي في تأكيد حق الخليفة الوليد بن عبد الملك في أحقيته بالخلافة . وفي استنباط الحجج والدعاوى التي تؤيد هذا الحق .

طَمَّتْ عَلَى مَا يَذْكُرُونَ مِنَ الْعُلَى  
مَنْ فَيُضْ بَحْرَكَ جَمَّةً وَحَفِيلُ  
وَإِذَا وَعَدْتَ النَّاسَ خَيْرًا جَاءَهُمْ  
عَفْوًا وَأَنْتَ لَمَّا تَقُولُ فَعُولُ<sup>(95)</sup>

نلاحظ أن الشاعر هنا هو ناطق باسم الوليد وبني أمية عامة ، فلا يقول إلا ما يدغدغ مشاعرهم ويطرب سماعهم ، وبالتالي فهو يركّز على قضية النسب القرشي ، فقد كان الأمويون شديدي التعصب لقريش عامة وبني أمية خاصة " وكانوا يعلنون في كل مناسبة أن لقريش وحدها الحق في تولي أمور المسلمين وليس لغيرهم أن يطمع في هذا الأمر وينكرون على غيرهم مطالبتهم بها " <sup>(96)</sup> يقول :  
وَلَقَدْ لَجَأْتُ مِنَ الْوَلِيدِ إِلَى أَمْرِي

أَغْنَى وَلَيْسَ مَنْ اصْطَفَاهُ بِنَادِمٍ  
لِلْحَمْدِ فِيهِ مَذَاهِبٌ مَا تَنْتَهِي  
وَمَهَابَةُ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ وَنَائِلُ  
يُنْضِي الْجَوَادَ وَأَنْتَ نَكِلُ الظَّالِمِ  
وَإِذَا نَظَرْتَ بَحْرًا وَجْهَكَ كُلَّهُ  
نَحْوَ أَمْرِي فَيُظِلُّ مِثْلَ الْغَائِمِ  
فَرَعُ كَانَ النَّاسَ حِينَ يَرَوْنَهُ  
يَتَبَاشَرُونَ بِقُبُلِ غَيْثٍ دَائِمِ  
الْوَاهِبُ الْقَيْنَاتِ أَمْثَالُ الدُّمَى  
مُتَسَجِّياتِ ظِلَالِ أَسْوَدَ فَاحِمِ  
وَالْخَيْلُ وَالنَّعْمُ الْمَبِينُ وَطَالِمًا

أعطى الجزيل وليس ذاك بعاتم<sup>(97)</sup>  
نلاحظ من هذه الأبيات ومن غيرها أن شعر عدي مسبوك بسلاسة الألفاظ وسهولتها ، فهو أموي الانتساب زمنيا ولكنه جاهلي الشعاعية ، ولا يريد أن ينفصل عن ماضيه ، فهو يعبر عن تواصلية زمانية للوليد ، فالحياة عنده استمرار لمراحل لا تنقطع الواحدة عن الأخرى ، وربما يشير هنا إلى ماضي الأمويين ليصل بهم - وعلى رأسهم الوليد

## الهوامش

- (21) مقدمة ديوانه : ص 15 – 19 .
- (22) الميمني ، عبدالعزيز : ص 95 .
- (23) الحوفي ، أحمد : ص 24 .
- (24) الحوفي ، أحمد : ص 26 .
- (25) الحوفي ، أحمد : ص 163 .
- (26) عطوان ، حسين : ص 47 .
- (27) سورة النساء : آية 59
- (28) ديوانه : ص 159 – 160
- (29) ديوانه : ص 208 .
- (30) ديوانه : ص 232 ، وينظر ديوانه ، الصفحات : 555 ، 482 ، 465 ، 447 ، 428 ، 378 ، 371 ، 191 ، 598 .
- (31) ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد : 4 / 147 .
- (32) ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد : 4 / 195 .
- (33) ديوانه : ص 465 .
- (34) ديوانه : ص 170 .
- (35) ديوانه : 1 / 70 .
- (36) ديوانه : ص 73 .
- (37) ديوانه : ص 366 ، وينظر ديوانه الصفحات : 404 ، 245 ، 73 ، 51 ، 47 .
- (38) ديوانه : 347 ، وينظر ديوانه : الصفحات : 371 ، 360 ، 317 ، 253 ، 177 ، 106 .
- (39) عطوان ، حسين : ص 39 .
- (40) الطبري ، محمد بن جرير : 2 / 208 .
- (41) المسعودي ، أبو الحسن : 2 / 230 .
- (42) الزير ، محمد بن حسن : ص 28 .
- (43) الديوان : ص 208 – 209 .
- (44) الديوان : ص 219 – 220 .
- (45) العسقلاني ، ابن حجر : 2 / 210 – 211 .
- (46) ديوانه : ص 159 – 160 .
- (47) فلهوزن ، يوليوس : ص 60 .
- (48) عطوان ، حسين : ص 45 .
- (49) ديوانه : ص 171 – 172 " .
- (50) ديوانه : 171 – 172 .
- (1) الأصفهاني ، أبو الفرج : 9 / 307 .
- (2) ابن سلام محمد : 2 / 603 .
- (3) الصلاح ، تحسين : 14 : 1986 .
- (4) ابن قتيبة ، محمد : 2 / 603 .
- (5) ابن قتيبة ، محمد : 2 / 603 .
- (6) الأصفهاني ، أبو الفرج : 9 / 310 .
- (7) الأصفهاني ، أبو الفرج : 9 / 313 .
- (8) ابن دريد ، محمد بن الحسين : ص 375 .
- (9) ينظر في ترجمته :
- الأصفهاني ، أبو الفرج : 9 / 307 – 317 .
- الجمحي ، محمد بن سلام : 699 – 706 .
- ابن قتيبة ، محمد : 2 / 603 – 606 .
- الشكعة ، مصطفى : ص 245 .
- فروخ ، عمر : 567 / 1 .
- ضيف ، شوقي : ص 343 – 346 .
- الشايب ، أحمد : ص 301 .
- (10) الجمحي ، محمد : 701 .
- (11) الكتبي ، مخطوط : 82 .
- (12) " ضيف ، شوقي : ص 85 .
- (13) عطوان ، حسين : 9 .
- (14) الطبري ، محمد : 6 / 497 .
- (15) الأصفهاني ، أبو الفرج : 9 / 315 .
- (16) ابن سلام ، محمد : 2 / 699 – 700 ، والسبع هي مدينة بئر السبع تقع جنوب فلسطين ، قال فيها ياقوت الحموي : ناحية بفلسطين ، بها سبعة آبار ( معجم البلدان ، ياقوت الحموي : مادة : سبع ) .
- (17) الأصفهاني ، أبو الفرج : 9 / 309 – 308 ، الضغابيس : جمع ضغبوس وهو الضعيف .
- (18) الأصفهاني ، أبو الفرج : 9 / 313 .
- (19) الأصفهاني ، أبو الفرج : 9 / 311 .
- (20) ديوانه ، : ص 88 – 90 .

- (51) ضيف ، شوقي : ص 199 .
- (52) الديوان : ص 223-225 ، ورد في الديوان " فما زلتُ " والصواب " فما زلتَ " ؛ لأن المخاطب هو الوليد ، والأبيات التي تليها تؤكد ذلك ، فهو يقول في بدايتها : " دفعت بأمر الله .... " و " " فأنت الذي ... " .
- (53) الطبري ، محمد بن جرير : 6 / 124 ، الجاحظ ، عمرو بن بحر : 2 / 64 .
- (54) الديوان : ص 170 .
- (55) ديوانه : ص 170 .
- (56) ابن عبد ربه ، احمد بن محمد : 2 / 175 .
- (57) ديوانه : ص 209 .
- (58) الديوان : ص 159 .
- (59) الأصفهاني ، أبو الفرج : : 21 / 16 .
- (60) المسعودي ، أبو الحسن : 2 / 229 - 234 " .
- (61) عطوان ، حسين : ص 151 " .
- (62) ديوانه : ص 172-174 .
- (63) زراقت ، عبدالمجيد : ص 48 .
- (64) الديوان : ص 91 - 93 .
- (65) الشايب ، أحمد : ص 304 .
- (66) الديوان ، ص 2007-2008 .
- (67) ديوانه : ص 170 .
- (68) ديوانه : ص 171-172 .
- (69) ديوانه : ص 207-208 .
- (70) الديوان : ص 112-114 .
- (71) الديوان : ص 114 .
- (72) ناجي ، مجيد : ص 180 .
- (73) ديوانه : ص 220-221 .
- (74) الهادي ، صلاح الدين : ص 162 ، ينظر ديوانه ص 81 ، 92-95 ، 125-127 ، 157-159 ، 170-172 ، 208-209 ، 220-221 .
- (75) ديوانه : ص 171-172 .
- (76) ضيف ، شوقي : ص 345 .
- (77) الديوان : ص 113-114 .
- (78) ديوانه : ص 125 .
- (79) الديوان : ص 93 .
- (80) مردم ، خليل : ص 348 .
- (81) الديوان : ص 112 .
- (82) الديوان : ص 207 .
- (83) الديوان : ص 118 .
- (84) الديوان : ص 79-80 .
- (85) ديوانه : ص 129 .
- (86) مردم ، خليل : ص 348 .
- (87) ديوانه : ص 220-221 .
- (88) ضيف ، شوقي : ص 346 . ينظر ديوانه قصيدة 22 بيت 30 ص 207 ، وقصيدة 22 بيت 33 ص 207 ، وقصيدة 5 بيت رقم 37 ص 94 ، وقصيدة رقم 9 بيت رقم 126 .
- (89) ديوانه : ص 207-208 .
- (90) ديوانه : ص 220-221 .
- (91) ديوانه : ص 220 .
- (92) ديوانه : ص 125 .
- (93) ديوانه : ص 208 .
- (94) العالم ، إسماعيل : ص 167 .
- (95) ديوانه : ص 209 .
- (96) النص : ص 258 .
- (97) ديوانه : ص 125-127 .



## مصادر البحث ومراجعته

14. ضيف ، شوقي ، التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ط دار المعارف ، مصر ، ط 6 ، 1977 .
15. الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك ، ط أوروبا . د . ت .
16. العالم ، إسماعيل أحمد ، دراسة نقدية في الشعر الأموي ، ط هبة النيل العربية للنشر والتوزيع ، مصر ، ط 1 ، 2008 .
17. ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، ط مطبعة الاستقامة ، مصر ، ط 2 ، 1953 .
18. العسقلاني ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ط حيدر آباد ، 1325 هـ .
19. عطوان ، حسين ، الأمويون والخلافة ، ط دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، 1986 .
20. عيد ، رجاء ، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، ط منشأة المعارف ، ط 1 ، 1979 .
21. الفرزدق ، ديوانه شرح على فاعور ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1986 .
22. فروخ ، عمر ، تاريخ الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت . د . ت .
23. فلهوزن ، يوليوس ، تاريخ الدولة العربية ، ط لجنة التأليف والنشر ، ط 1 ، 1958 .
24. ابن قتيبة ، محمد ، الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة ، 2003 ،
25. المسعودي ، أبو الحسن ، مروج الذهب ومعادن الجوهر . ط دار الرجائي . د . ت .
26. الميمني ، عبد العزيز ، الطرائف الأدبية ، بيروت ، 1937 .
27. ناجي ، مجيد عبد الحميد ، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ط المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان ط 1 ، 1984
28. النابغة الشيباني ، ديوانه ، تحقيق عبد الكريم إبراهيم يعقوب ، ط منشورات وزارة الثقافة ، سوريا ط 1 ، 1987 .

1. اعتمدت في تحليل الشعر ومناقشته على ديوان عدي بن الرقاع العاملي ، رواية أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب الشيباني ، تحقيق نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ط 1 ، 1987 ، أما بقية المصادر والمراجع فهي :
2. الأصفهاني ، أبو الفرج ، الأغاني ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، د . ت .
3. الأخطل ، ديوانه ، تحقيق فخر الدين قباوة ، ط دار الآفاق الجديدة . بيروت ، ط 2 ، 1979 .
4. الجاحظ ، عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط 1 ، دار الجيل ، بيروت ،
5. جرير ، ديوانه شرح حمدو طماس ، ط دار المعرفة ، بيروت ، ط 3 ، 2008 .
6. الجمحي ، محمد بن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، دار المدني ، جدة ، 2006 .
7. أبو حاقه ، أحمد ، الالتزام في الشعر الأموي ، ط دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 1 ، 1979
8. الحوفي ، أحمد ، أدب السياسة في العصر الأموي ، ط دار القلم ، بيروت ، ط 1 ، 1965 .
9. ابن دريد ، محمد بن الحسين ، الاشتقاق ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط مكتبة الخانجي ، مصر ، 1958 .
10. زراقت ، عبد المجيد ، الشعر الأموي بين الفن والسلطان ، ط دار الباحث ، بيروت ، ط 1 ، 1983 .
11. الزير ، محمد بن حسن ، الحياة والموت في الشعر الأموي ، ط دار أمية ، الرياض ، ط 1 ، 1989 .
12. الشايب ، أحمد ، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني ، القاهرة ، ط 6 ، 1983 .
13. ضيف ، شوقي ، العصر الإسلامي ، ط دار المعارف ، مصر ، ط 9 ، 1963 .

29. النص ، إحسان ، العصبية القبلية وأثرها في  
الشعر الأموي ، دار اليقظة للتأليف والترجمة  
والنشر ، بيروت ، ط
30. الهادي ، صلاح الدين ، اتجاهات الشعر في  
العصر الأموي ، ط الخانجي ، القاهرة ، ط1 ، 1986  
الرسائل العلمية :
31. تحسين الصلاح ، عدي بن الرقاع العاملي ،  
حياته وشعره ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية  
، 1986 .
- الدوريات :
32. مردم ، خليل ، مجلة المجمع العلمي العربي ،  
دمشق ، مجلد 15، جزء 9 ، 1937 ، ( 335- 351 ) .